

المدارس التركمانية متميزة في نهجها وتحقق نسب نجاح عالية وتتفوق كل عام

المسرح التركماني المعاصر نبذة عن بدايات المسرح في كركوك

نصرت مردان

الجزء الأول

فتح الله أحمد صوت عراقي أصيل

أوميد كوبرولو

فتح الله أحمد ذلك الفنان القدير والملحن التركماني المعروف والعازف المشهور الذي لحن العشرات من الأغاني والأناشيد الوطنية للكثير من المطربين العراقيين ومن ضمنهم كاظم الساهر وقاد الفرقة الموسيقية في الكثير من الأعمال التلفزيونية والإذاعية وهو أحد أبناء التركمان الذين أثبتوا ولاهم لتربة العراق الأصيلة وحضارته التاريخية.

فلا زال هذا الفنان الكبير ذو الحجرة الذهبية ورغم ابتعاده عن وطنه العراق ومدينته الجميلة كركوك ولحن ويغني أجمل للوطن. ولاقتراح تلفزيون توركمين إيلي سجل في دار تسجيلاته الصوتية والمرئية في الإمارات العربية مجموعة غنائية جميلة من كلماته وألحانه الجديدة وأهداها إلى أبناء بلده من التركمان وهو يتغنى بكروكوك ولقعتها التاريخية الشامخة التي هدمها النظام الدكتاتوري السابق وعن بقية المدن والقصبات والقرى التي يقطنها التركمان وعن تراثهم الجميل وخورياتهم الأصيلة المشهور وعن شهدائهم الذين ضحوا في سبيل المبادئ الإنسانية والدفاع عن مدينتهم والعراق ضد أعدائهم العنصريين الحاقدين. فترجع فتح الله أحمد الملقب بـ(آتون سه س) في قلوب التركمان ثابته بأغانيه الفولكلورية التركمانية وألحانه الشجية. وحتى الأطفال الصغار أصبحوا يرددون أغانيه.

فتح الله أحمد في سطور:

ولد فتح الله أحمد (آتون سه س) في مدينة كركوك من أبوين تركمانيين. نشأ وترعرع على حب الأغاني التراثية التركمانية والخوريات وفي صغره كان يهوى سماع اغاني كبار الفنانين في العراق عامة وكركوك خاصة من أمثال المرحوم ناظم الغزالي والقبايجي وصديقه الملاية والملا طه الكركوكي ورشيد كوله رضا وعز الدين نعمت وعثمان تبله باش وغيرهم. ولجمال صوته ونفسه الطويل في الغناء وحجرتة الفولاذية سموه بـ(آتون سه س) أي الصوت الذهبي. بدأ وهو في العاشرة من عمره بالغناء والتعلم على عزف الآلات الموسيقية على يد الموسيقيين المعروفين آنذاك كجلال الوندي وحسين بهاء الدين في نادي الثورة الذي كان يتردد إليه. وصعد المسرح وهو صغير أمام الجمهور ليقدم لهم أجمل ألوانه الغنائية. أتذكر جيدا عندما كنا صغارا آنذاك لا نخرج في العيد إلى مكان لو لم يكن بصحبتنا المسجل وكاسيتات فتح الله آتون سه س. بعد إكماله الدراسة الإعدادية في كركوك أنقل فتح الله ليدرس الموسيقى في معهد الفنون الجميلة ويدرس بعدها ويستقر في بغداد ليلتحق بالفرقة الموسيقية العراقية إلى أن سافر إلى الإمارات العربية ليكمل بقية مشواره هناك.

ولكنه لم ينس العراق ولم ينس أحبائه وأصدقاء طفولته الذين تركهم في منطقة المصلى (كما يقول في إحدى أغانيه) بل استمر في الإبداع من أجلهم والغناء لهم حتى وهو بعيد عنهم. وفقه الله ووفق العراقيين جميعا في داخل الوطن وخارجه لخدمة وبناء الوطن وإعلاء شأنه الثقافي والحضاري والأدبي والعلمي والرياضي بين بلدان العالم جميعا.

إنتاجه الفني. . وسأحمل ذكرى هذه الليلة في قلبي مدى الحياة. كما أشكر الفنانين التركمان في لواء كركوك، لما لمست فيهم من حب عميق للمسرح)) في عام 1969 سافر عصمت الهرمزي بعد أن تم قبوله بقسم المسرح في كونسرفاتور أنقرة. بعد انتهاء دراسته عاد إلى العراق وفي ذهنه النقرغ تماما للعمل المسرحي من خلال إنشاء فرقة مسرحية تركمانية. ويذكر الهرمزي في اللقاء الإذاعي نفسه بأنه حينما راجع المؤسسة العامة للمسرح والتلفزيون للحصول على الإجازة المطلوبة لتشكيل الفرقة، فوجئ بتجاهل شديد حيث رفضت المؤسسة الموافقة على تشكيل فرقة مسرحية تركمانية بكروكوك والتي كان الهرمزي يخطط أن ينظم لها عروضاً في المناطق التركمانية مثل: تلعفر وطوزخورماتو وقرى البيات ومندي والسعدية وغيرها.

بعد هذه الصدمة عاد الهرمزي أدرجه إلى أنقرة. حيث عمل كممثل ومخرج في مسرح النولة بأنقرة، كما أصبح لفترة نائباً لمدير مسرح الدولة بأنقرة. بعد رحيل الهرمزي عاش المسرح التركماني فترة من الركود فعلى الرغم من تخرج عدد كبير من الشباب من معهد وأكاديمية الفنون الجميلة مثل: أنور محمد رمضان، تحسين شعبان، هاشم زيل، فاضل الحلاق، يلماز شكر، عماد بهجت، عبدالله جمعة، محمد قاسم، حسين علي غالب. إلا أن نشاطاتهم انحصرت في تقديم نصوص مسرحية محدودة. كما أن الفرق التي كانوا يشكلونها لم تكن تعمر طويلاً بسبب الخلافات الشخصية ولأسباب أخرى.

بسر اجين لو بالظلمة). كانت جميعها من إخراج الفنان المسرحي الرائد عصمت الهرمزي. أنزلت مجزرة كركوك عام 1959 ضربة قاصمة بالحركة المسرحية التركمانية. فقد قدمت فرقة المسرح الفني في أواخر عام 1959 مسرحية (حسن أفندي) و(بيتمين مصال) من إخراج الهرمزي أيضاً. وكان هذا آخر عمل مسرحي للهرمزي الذي توجه إلى تركيا لدراسة الإخراج المسرحي في أنقرة. بعد أن دب الخلاف بين أعضاء الفرقة وبطلب الأمر هنا التوقف قليلاً عند الدور الريادي المسرحي لعصمت الهرمزي الذي بدأ اهتمامه المبكر بالمسرح فعمل وهو في السادسة عشرة من العمر في قسم التركيز بشركة النفط في كركوك. ليتمكن من جمع نفقة دراسة المسرح في أمريكا. ويذكر في حديثه اداعي له بأنه كان يعمل في الورديات المسائية التي كانت تستمر من الساعة التاسعة ليلاً وحتى الساعة الخامسة صباحاً قرب نيران (باباكر) ، وحينما كان يكون لوحده فإنه كان يقف أمام تلك النار الأزلية التي تعتبر مسرحه الأول وهو يمثل بصوته الجمهوري مقاطع من مسرحيات شكسبير مثل (هاملت) و(ماكبث) و(عطيل). ويذكر أيضاً أن الفنان حقي الشبلي حضر عام 1959 عرضي مسرحية (أغنية التم) لحيخوف ومسرحية (بُنكي عمر (باللغة التركمانية. وقد القى الشبلي كلمة في نهاية العرض قال فيها: (ليست هذه أول مرة المس فيها النشاط التمثيلي في هذا اللواء الزاهر. وإنما كان ولا يزال لواء كركوك في مقدمة ألوية العراق في

والمسرحية التركمانية(أواه ياسكيري) وقدمت جميعها على مسرح مدرسة المركزية (مكتبة كركوك العامة حالياً). ونظراً لقلّة الوعي المسرحي وقلّة القاعات فقد ظلت الحركة المسرحية في كركوك بين مد وجزر ولم تعش ازدهاراً حقيقياً إلا في الخمسينيات حيث تورد جريدة (البشير) التي كانت تصدر باللغتين العربية والتركمانية بأنه قد تم اعتباراً من 22 أيلول 1958 ولغاية آذار 1959 تقديم أكثر من 05 مسرحية. وقد شهدت الفترة نفسها ازدهار الحركة المسرحية في بغداد أيضاً. حيث نالت مسرحيات يوسف العاني شعبية واسعة مثل (رأس الشليلة)، (فلوس الدوة)، (تؤمر بيك) وغيرها. وقد تمت ترجمة بعضها إلى اللغة التركمانية. وقد شكل الفنان عصمت الهرمزي (رائد المسرح التركماني المعاصر) فرقة مسرحية تركمانية لأول مرة في تاريخ العراق المسرحي (فني شأنه طاقمي فرقة المسرح الفني للتمثيل) بالاشتراك مع أنور محمد رمضان وأحمد خليل الحسني وأيدن شاكر العراقي. كما مثل مسرحية(الفنان) باللغة الإنكليزية مع القاص المعروف جليل القيسي والذي كان في الوقت نفسه مؤلف المسرحية. وقد حققت الفرقة نجاحاً كبيراً سواء في المسرحيات العالمية التي مثلتها أو في المسرحيات التركمانية مثل مسرحية (بـايغوش اي البوم) ومسرحية (بني عمر أي حياة جديدة) المقتبسة من إحدى مسرحيات يوسف العاني ومسرحية (بايشيفده يا قرانقدا) عن مسرحية يوسف العاني أيضاً (لو

٥٢٢ الصادر في تموز 1929 عن تقديم مسرحية (أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب والأرملة) من قبل طلبة مدرسة (ظفر). كما يؤكد ذلك الباحث التركماني المعروف عطا ترزي باشي. كما قدمت مسرحية (طرشجي أي بـانغ الطرشى) باللغة التركمانية في نهاية الثلاثينيات من تأليف: عبدالقادر خلوصي كرفلي وإخراج موسى زكي مصطفى. ازدهرت الحركة المسرحية في المدارس حيث تشكلت الفرق المسرحية المدرسية على اعتبار المسرح كإداة تربوية، تغرس في النفوس معاني الفضيلة، وكانت لزيارة فرقة حقي الشبلي لمدينة كركوك في نهاية العشرينيات وبداية الثمانينيات دورها البارز على الفنانين التركمان من أمثال: زهدي علي (الذي عمل فترة في فرقة حقي الشبلي، وله مراسلات معه أثناء دراسة الشبلي في باريس) وموسى زكي مصطفى و فاتح شاكر ساعتجي.

وقد قدمت الفرقة عدداً من المسرحيات منها مسرحية (السلطان عبدالحميد) في المسرح الصيفي لفندق أحمد بالاس وكان الفنان زهدي قد تعرف على الشبلي أثناء زيارة فرقة لبلدة كفري ، وكان الفنان اللبناني المعروف بشارة واكيم عضواً في الفرقة. كما كان يرافقها الفنان العظيم محمد القبايجي (الذي كان يغني بين الفصول على عادة المطربين في تلك الفترة). كما أن الفرقة المسرحية التي أسسها الرواد بعد ذلك قدموا عدداً من المسرحيات العربية والتركمانية منها: (ماجدولين) و(الشاعر) و(في سبيل التاج) للمنفلوطي،

الحكائيين التركمان (طوبال ملا محمد، وملا امين وملا شاكر وملا بوياغ وغيرهم). ويذكر من باب الطرائف أن صاحب (جوت قهوه) كان يوزع الحلوى على الحضور حينما كانت قصة (عنتر ابن شداد) تنتهي النهائية السعيدة بانتصار عنترة وزواجه من حبيبته عيلة. اشتهر حي (بولاغ) و (جوت قهوه) و (قازي خاني) بتجمع هواة المسرح. حيث أقاموا على مرتفع يقع أمام الخان مسرحاً، أعدوا له ستارة تفتح وتغلق باليد قدموا عليه حكايات فولكلورية وهزلية والتي تعتمد أغلبها على ارتجال النكات وارتجال مواقف فكاهية أكثر من اعتمادها على نصوص تتوافر فيها عناصر ومقومات الفن المسرحي الذي لم يكن غريباً على التركمان. وخاصة مسرح (خيال الظلمة). حيث يعتبر (خيال الظل) بداية للمسرح التركماني. كما يؤكد ذلك جورج جاكوب أن هذا المسرح قد انتقل من الصينيين إلى المغول وانتقل منهم إلى أتراك آسيا الوسطى وكانوا يطلقون اسم (قاورجاغ

(Kavurcak) على هذا النمط من المسرح وذلك لاعتقاده على دمي متحركة خلف ستارة بيضاء مضاءة من الخلف. ولا يزال التركمان في العراق يسمون النامية بـ (قاورجاغ). ويؤكد نفس المؤرخ أن فن الظل وصل إلى كل منطقة وصل إليها الأتراك عن طريق الهجرات المتلاحقة لهم من آسيا الوسطى أولاً ثم عبر الأناضول ثانياً. ولعل أقدم وثيقة توثق التاريخ المسرحي في كركوك هو الإعلان الذي نشر في جريدة (نجمة) باللغة التركمانية في عددها

((ليست هذه أول مرة المس فيها النشاط التمثيلي في هذا اللواء الزاهر. وإنما كان ولا يزال لواء كركوك في مقدمة ألوية العراق في إنتاجه الفني. وسأحمل ذكرى هذه الليلة في قلبي مدى الحياة. كما أشكر الفنانين التركمان في لواء كركوك، لما لمست فيهم من حب عميق للمسرح)).

حقي الشبلي/رائد المسرح العراقي

اشتهرت كركوك منذ القرن التاسع عشر بين المدن العراقية، بأنها مهد المقامات العراقية. حيث اعتاد سكانها على غناء (الخوريات) وهو نمط شعري رباعي تركماني يعتمد على الجناس يغنى بواحد وعشرين مقاماً غنائياً. وقد ذاع صيت قارئ المقام (شلتاغ) الذي غادر كركوك على أثر ارتكاب جريمة فيها، فلجأ إلى والي بغداد آنذاك الذي حماه بعد أن أعجبته رخامة صوته وحلاوته، فأثر على أجيال متعاقبة من قراء المقام في بغداد.

في الربع الأول من القرن العشرين تم نصب توزيع عدة مكبرات للصوت من خان القاضي في محلة (بولاغ) (قازي خاني) موزعة على مناطق عديدة. وكان ذلك بمثابة أول إذاعة محلية بدائية غنى فيها المطربون التركمان أغانيهم ومقاماتهم. كما كان تتم إذاعة فواصل فكاهية، وأحاديث دينية و فقرات أخرى من قبل: جمال نالبدن و عثمان خضر (صاحب مقهى 14 تموز الذي كان أول ضحايا مجزرة كركوك عام 1959 والمطرب التركماني المعروف صديق بنده غفور. كما أن ظاهرة الحكائيين ظلت ملاصقة لمقاهي كركوك حتى بداية الستينيات. ومن أهم

كاريكاتير



* صدر العدد (10) من إصدارات تركمانية جريدة (أصو)

وهي جريدة سياسية ثقافية شهرية يصدرها مكتب الجبهة في طوز خورماتو باللغتين العربية والتركية.

* صدر العدد (1) من جريدة الصادق وهي جريدة سياسية عامة تصدر باللغتين العربية والتركمانية، ويحتوي العدد على مواضيع ومقالات سياسية وثقافية وأخرى متنوعة.

توركمين ايلي صاحب الامتياز : الجبهة التركمانية العراقية رئيس التحرير : عبدالقادر حجي اوغلو مدير التحرير .. مازن قاورماجى الهاتف / 2227528

ملاحظة المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها